المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
مكة المكرمة

« محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين »
دراسة عملت من أجل

مؤتمر العلماء المسلمين للنّظر في قضايا الدّعوة الإسلاميّة المنعقد في مدينة لكناو في الهند

خلال الفترة ١٢ ـ ١٣ / ٧ / ١٤١٨هـ ـ الموافق ١٢ ـ ١٣ / ١١ / ١٩٩٧م

بقلم
د. حسن محمد باجودة
أستاذ الدراسات القرآنية البيانية
وعميد كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى
بمكة المكرمة

١٤١٨ هـ

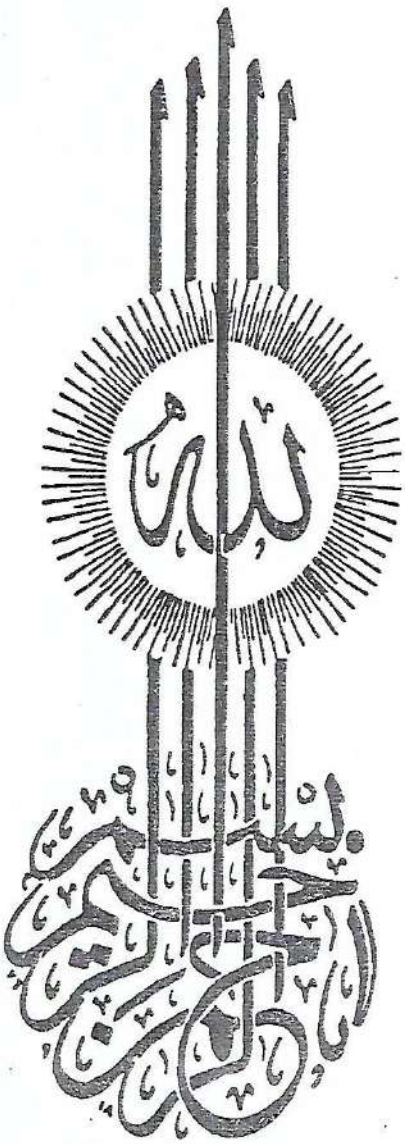
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمـــة:

الحمد للّه رب العالمين ، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين ، سيّدنا محمّد ، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فهذه الدّراسة بعنوان : محمّد صلّى اللّه عليه وسلّم خاتم النّبيين ، عُملَت استجابةً لدعوة كريمة تلقّيتها من سماحة الشّيخ أبى الحسن على الحسنى النّدوى رئيس جامعةً دار العلوم ، ندوة العلماء بلكناو فى الهند ، بأن أشترك فى : مؤتمر العلماء المسلمين للنّظر فى قضايا الدّعوة الإسلاميّة ، المقرّر عقده فى مدينة لكناو بالهند خلال الفترة من ١٢ - ١٣ رجب ١٤١٨هـ الموافق ١٢ - ١٣ نوفمبر ١٩٩٧م.

ولمّا كان شبه القارة الهنديّة ، البيئة التى نبتت فيها الفئة القاديانيّة الضّالّة عن سواء السّبيل ، والتى زعمت أنّ النبوّة لم تختم بمحمّد بن عبداللّه صلّى اللّه عليه وسلّم ، ومن ثمّ لوت عنق الجزئيّة الكريمة : ﴿وخاتم النّبيين﴾ من الآية الكريمة الأربعين من سورة الأحزاب المدنيّة الكريمة ، فقد رغبت فى أن يكون إسهامى فى المؤتمر بدراسة بعنوان «محمّد صلّى اللّه عليه وسلّم خاتم النّبيّن»ويتأكّد فى هذه الدّراسة المعنى الّذى قرّره علماء التّفسير واللّغة العربيّة حتّى يوم النّاس هذا وإلى أن يرث عزّ وجلّ الأرض ومن عليها بأنّ محمّداً صلّى اللّه عليه وسلّم هو خاتم النّبيّين ، أي آخرهم . إنّ هذه الدّراسة تستقى من النّبع ، من المعاجم العربيّة الّتى تشتمل على ما جرى على ألسنة العرب الّذين نزل القرآن الكريم بلسانهم العربيّ المبين . وإنّ القرآن الكريم لم يلو للّغة العربيّة عنقاً . وقد دلّ القول عن المصطفى صلّى اللّه عليه وسلّم فى الآية الكريمة

﴿ ولكن رسول اللّه وخاتم النّبيّين ﴾ على المعنى الّذي تبادر إلى ذهن كلّ عربيّ منذ نزول القرآن الكريم ، وهو أنّ محمّداً صلّى اللّه عليه وسلّم رسول اللّه وآخر النّبيّين . إنّ النّبيّ يوحى اللّه تعالى إليه وتكلّمه الملائكة ، ويزيد الرّسول بكونه مرسلاً من اللّه تعالى إلى أمّته ومبلّغاً رسالة ربّه جلّ وعلا . ولمّا كان لنعمة الرّسالة طريقٌ واحدٌ هو النّبوّة ، ففي ختم نعمة النّبوّة بمحمّد صلّى اللّه عليه وسلّم ختمٌ ضمنيٌّ لنعمة الرّسالة ، وهذا بيّن .

واللّهَ تعالى أسأل أن ينفع بهذا العمل ، وأن يجعله عوناً لمن ضلّ عن سواء السّبيل على أن يعود إلى الصّراط المستقيم ، وأن يتقبّله جلّ وعلا إنّه سميعٌ قريب .

وصلّى اللّه وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد للّه ربّ العالمين .

كتبه الفقير إلى عفو ربّه
د/ حسن محمّد باجودة
أستاذ الدّراسات القرآنيّة البيانيّة
وعميد كلّيّة اللّغة العربيّة
جامعة أمّ القرى ، بمكّة المكرّمة

مكّة المكرّمة
يوم الجمعة ٢٥/ ٥/ ١٤١٨هـ
الموافق ٢٦/ ٩/ ١٩٩٧م

تمهيد:

هذه الدّراسة بعنوان ، محمّد صلّى اللّه عليه وسلّم خاتم النّبيّين ، ذات علاقة بالآية الكريمة الأربعين من سورة الأحزاب المدنيّة[1] الّتى ارتبطت بأحداث جرتْ فى المجتمع المدنيّ فى حدود السّنة الخامسة من الهجرة ، ومنها زواجُ النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم بزينب بنت جحش رضي اللّه تعالى عنها[2] وغزوة الخندق أو غزوة الأحزاب ، وغزوة بنى قريظة[3] قال عزّ من قائل[4]: ﴿ ما كان محمّدٌ أبا أحد من رجالكم ولكن رسول اللّه وخاتم النّبيّين . وكان اللّه بكلّ شيءٍ عليماً ﴾ .

والآية الكريمة تنفى أن يكون محمّد صلّى اللّه عليه وسلّم أبا أيٍّ من رجال المؤمنين ، فكلّ أولاده الذّكور صلّى اللّه عليه وسلّم تُوُفُّوا قبل سن الحُلُم[5] وزيدٌ الّذى تبنّاه النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم فكان يقال له زيد بن محمّد هو زيد ابن حارثة أبيه ، وليس ابن محمّد صلّى اللّه عليه وسلّم متبنّيه ، فمن حقّه عليه الصّلاة والسّلام أن يتزوّج مطلّقة متبناه زيد رضى اللّه تعالى عنه . وإذا كان محمّد صلّى اللّه عليه وسلّم ليس أبا أحد من رجال المؤمنين فإنّه رسول اللّه تعالى وخاتم النّبيّين . وكان

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن للسّيوطى ١/ ١٤

(٢) انظر - مثلاً - تفسير القرطبى ٥٢٤٨ وتأمّلات فى سورة الأحزاب للمؤلّف صـ ٥ و صـ ٣٣٥

(٣) انظر - مثلاً - السّيرة النّبويّة لابن هشام ٣/ ٢٢٤ و ٢٤٤ ونور اليقين في سيرة سيّد المرسلين للشّيخ محمّد الخضرى ١٨٢ و ١٨٨

(٤) سورة الأحزاب ٤٠

(٥) انظر مثلاً تفسير ابن كثير ٣/ ٤٩٢

اللّه سبحانه وتعالى بكلّ شيءٍ عليماً ، فلا يخفى عليه جلّ وعلا شيءٌ في الأرض ولا في السّماء .

والفرق بين النّبيّ والرسول أنّ النّبيّ هو الّذى اصطفاه اللّه تعالى بالنّبوّة بأن اختصّه اللّه تعالى عن الأمّة بإيحاء اللّه تعالى إليه وإرسال ملائكته إليه . والرّسول هو الّذى اصطفاه اللّه تعالى بالرّسالة بأن اختصّه اللّه تعالى عن الأمّة بإيحاء اللّه تعالى إليه وإرساله ملائكته إليه وإرساله إلى الأمّة يدعوهم إلى اللّه بشريعته وأمره . وبهذا يتبيّن أنّ الأنبياء لم يرسلوا إلى أممهم بينما اختصّت الرّسل عنهم بإرسالهم إلى الأمم[1]

وإذا تجاوزنا التّذييل فى الآية الكريمة : ﴿ وكان اللّه بكلّ شيء عليما ﴾ استطعنا أن نتبيّن أنّ صدر الآية الكريمة ذو شقّين اثنين . أوّلهما : ﴿ ما كان محمّدٌ أبا أحد من رجالكم ﴾ وآخرهما : ﴿ ولكن رسول اللّه وخاتم النّبيّين ﴾ ومن البيّن أنّ الدّراسة تتعلّق مباشرةً بهذا الشّقّ الآخر ، وعلى جهة الخصوص بالقول : ﴿ وخاتم النّبيّين ﴾

وإنّما نحت الدّراسة هذا المنحى ، لأنّ ما نصّت عليه الجزئيّة الكريمة من أنّ محمّداً صلّى اللّه عليه وسلّم خاتم النّبيّين ، وأجمعت عليه الأمّة الإسلاميّة خلال العصور ، باستثناء بعض الأفراد والجماعات القليلة العدد والخطر ، ولأنّ ما نصّت عليه الجزئيّة الكريمة من نعمة ختم النّبوّة ، قد استطاعت إحدى الفرق الضّالة الّتى لها أتباع يكثرون ، وهي فرقة القاديانيّة ، أن تدّعي غير ذلك فتزعم أنّ محمّداً صلّى اللّه عليه ليس خاتم النّبيّين . إنّ الآية الكريمة من الآيات

---

(١) انظر هنا طريق الهجرتين وباب السّعادتين لابن القيّم ٤٥٥ وتأمّلات فى سورة الأحزاب ٣٦٢

الكريمات الّتى لوت تلك الفئة الضّالّة أعناقها لغاياتها الخسيسة ، وأوّلتها بغير علم وفق أهوائها . ولا يكاد العجب ينتهى من جراءة هذا الفريق من النّاس على القول بغير علم ، ومن جراءة بعض الأعاجم على صرف آي الذّكر الحكيم عن معانيها الّتى أجمع عليها السّلف الصّالح ، وعلى ليّ أعناق آي القرآن الكريم الّذى نزل بلسان عربيٍّ مبين ، ومخالفة الآراء الّتى أجمع عليها أئمّة اللّغة العربيّة ، خلال القرونَ ، وعلماء التّفسير خلال العصور .

لكلّ هذه الأسباب لزم تبيين المعانى الّتى يدور حولها الأصل اللّغويّ : «ختم» والملابسات الّتى طرأت خلال العصور على معانى الألفاظ المشتقّة من هذا الأصل اللّغويّ ، ممّا له عَلاقةٌ مباشرةٌ على جهة الخصوص بالجزئيّة الكريمة : ﴿ وخاتم النّبيّين ﴾ الّتى تعمّق نعمة ختم النّبوّة ، وتؤكّد أنّ محمّداً صلّى اللّه عليه وسلّم آخر النّبيّين . ولمّا كانت عمليّة الطّبع بمعنى الختم ، فقد كان ثمّة حديثٌ عن هذه المادّة اللّغويّة : «طبع» من الزّوايا الّتى تخدم الغاية الّتى عُمِلَتْ هذه الدّراسة من أجلها .

معنى الأصل اللّغويّ : «ختم»

الخاء والتّاء والميم أصلٌ واحد ، وهو بلوغ آخر الشّيء . يقال : ختمت العمل ، وختم القارىء السّورة[1] وختم فلانٌ القرآن إذا قرأه إلى آخره[2] ابن سيده : خَتَمَ الشّيء يختمه خَتْماً بلغ آخره ، وختم اللّه له بخير . وخاتم كلّ شيء وخاتمته عاقبته وآخرَه . واختتمت الشّيء نقيض افتتحته . وخاتمة السّورة آخرها[3] وختام كلّ مشروب آخره . وفي التّنزيل العزيز[4] : ﴿ ختامه مسك ﴾ أي آخره لأنّ آخر ما يجدونه رائحة المسك[5] وختام القوم وخاتمُهُمْ وخاتَمُهُمْ : آخرهم ، عن اللّحياني . ومحمّدٌ صلّى اللّه عليه وسلّم خاتم الأنبياء عليه وعليهم الصّلاة والسّلام . التّهذيب : والخاتم والخاتَم من أسماء النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم . وفي التّنزيل العزيز : ﴿ ما كان محمّدٌ أبا أحد من رجالكم ولكن رسول اللّه وخاتم النّبيّين ﴾ أي آخرهم . قال : وقد قرىء وَخاتَم[6] لأنّه صلّى اللّه عليه وسلّم خَتَم النّبوّة أي تمّمها بمجيئه[7]

---

(١) معجم مقاييس اللّغة : «ختم» ٢/ ٢٤٥

(٢) لسان العرب : «ختم» ومفردات الرّاغب الأصفهاني : «ختم» ١٤٣

(٣) لسان العرب : «ختم»

(٤) سورة المطفّفين ٢٦

(٥) لسان العرب : «ختم» وانظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : «ختم» ١٤٣ ومعجم مقاييس اللّغة : «ختم» ٢/ ٢٤٥

(٦) لسان العرب : «ختم» وانظر معجم مقاييس اللّغة : «ختم» ٢/ ٢٤٥

(٧) مفردات الرّاغب الأصفهاني : «ختم» ١٤٣

ألفاظٌ مشتقّة

من ألطف ما يلاحظ على الألفاظ المشتقّة من الأصل اللّغويّ : «ختم» أنّها تنطلق من المعنى الّذى يفيده الأصل اللّغويّ وهو بلوغ آخر الشىء وتظلّ تدلّ عليه . وحينما يفيد اللّفظ المشتقّ من هذا الأصل اللّغويّ : «ختم» معنىً آخر أو جديداً ، فإنّ هذا اللّفظ المشتقّ يظلّ يفيد المعنى الأصليّ ويدلّ عليه ربّما بدرجةٍ أكبر من إفادة المعنى الجديد .

ومن الطّبيعيّ أن تكون الألفاظ المشتقّة المختارة ذوات علاقة على نحو من الأنحاء بلفظة خاتم فى الجزئيّة الكريمة : ﴿ ولكن رسول اللّه وخاتمَ النّبيّين ﴾

وربّما كان مفيداً أن نتناول الألفاظ المختارة ، بحسب ورودها فى سلسلة المعانى ، المرتّبة حلقاتها ، وفق تسلسل الظّهور للألفاظ على مسرح الأحداث .

ولمّا كان المصدر : «الختم» نقطة انطلاق السلسلة من الألفاظ ، فإنّا نودّ أن نقف عند المعانى المختلفة الّتى أفادها اللّفظ .

وأوّل ما يلاحظ أنّ الختم ، بمعنى الطّبع على الشّىء ، هو من الباب أيضاً ، لأنّ الختم على الشّىء أو الطّبع عليه لا يكون إلاّ بعد بلوغ آخره فى الأحراز(١)

ولماذا نختم على الشّىء ؟ كيلا يخرج شىءٌ منه ، وكيلا يدخل فيه شىءٌ ليس منه . ومن هنا كان الختم بمعنى الحفظ(٢) تارة ، أي حفظ ما فى الكتاب

---

(١) انظر هنا معجم مقاييس اللّغة : «ختم» ٢/ ٢٤٥

(٢) لسان العرب : «ختم»

- مثلاً - بتعليم الطّينة[1] أي وضع علامة عليها ، وكان الختم بمعنى المنع ، تارةً أخرى[2] أي منع دخول أيّ شيءٍ خارجي فيه .

والطّينة هنا بمنزلة الشّمع الأحمر الّذى يختم عليه فى عصرنا ، وبمنزلة الرَّصاص الّذى يختم عليه للغاية ذاتها ، وما إليهما .

وما اسم الطّين الّذى يُختم به على الكتاب ؟ الخِتام ، بكسر الخاء[3]

وما اسم الشّىء الّذى يُخْتم به ويوضَع على الطّينة ؟ الخاتَم ، وهو اسمٌ مثل العالَم[4]

وفى الحديث : آمين خاتَمُ ربّ العالمين على عباده المؤمنين . قيل : معناه طابَعُه وعلامته الّتى تدفع عنهم الأعراض والعاهات ، لأنّ خاتم الكتاب يصونه ويمنع النّاظرين عمّا فى باطنه ، وتفتح تاؤه وتكسر لغتان[5]

قال الفرّاء : والخاتِم والخِتام متقاربان فى المعنى ، إلاّ أنّ الخاتِمَ الاسم والخِتامَ المصدر[6]

والخَتَم والخاتِم والخاتَم والخاتام والخيتام : من الحلْي كأنّه أوّل وهلة

---

(١) لسان العرب : «ختم»

(٢) لسان العرب : «ختم»

(٣) لسان العرب : «ختم»

(٤) لسان العرب : «ختم»

(٥) لسان العرب : «ختم»

(٦) لسان العرب : «ختم»

خُتم به ، فدخل بذلك فى باب الطّابع ثمّ كثر استعماله لذلك وإن أُعدّ الخاتم لغيَر الطّبع . وأنشد ابن برّى فى الخيتام :

ياهندُ ذاتَ الجورب المنشقّ *** أخذت خيتامى بغير حقّ (١)

وفى الحديث أنّه نهى عن لُبْس الخاتم إلاّ لذى سلطان . أي إذا لبسه لغير حاجة وكان للزّينة المحضة ، فكره له ذلك ورخّصها للسّلطان لحاجته إليها فى ختم الكتب(٢)

ومن البيّن أنّنا أمام ما يسمّى بتطوّر الدّلالة بشأن لفظة الخاتم وما إليها . إنّ هذه الوسيلة تستعمل أساساً لعمليّة الختم عند نهاية الكلام مثلاً أو على ظرف الخطاب ، وما إلى ذلك ، ثمّ أفادت اللّفظة معنى الحَلْي أو الزّينة .

وكيف تمّت عمليّة تطوّر الدّلالة هذه ؟

إنّ الخاتم الّذى استعمله العرب لعمليّة الختم بقصد الاستيثاق من عدم زيادة أيّ شيء أو نقصه ، فى هيئة الخطاب ، أو المعاهدة ، أو الظَّرْف ، وما إلى ذلك ، كان بحاجة إلى أن يكون قريباً من الشّخص الّذى يستعمله ، وخاصّةً العربَ الأمّيّين ، وإلى أن يكون فى مكان أمين ، كيلا تستعمله يدٌ غير أمينة فى غير موضعه . وليس ثمّة المكان الأقربَ من الإصبع ، وهو جزءٌ من اليد الّتى تستعمل الخاتم من أجل عمليّة الختم . وفى هذه المرحلة أفادت لفظة الخاتم معنيين اثنين . أوّلهما وأهمّهما عمليّة الختم ، وآخرهما الدّلالة على الحلقة المكتوب عليها والّتى توضع فى إحدى أصابع اليدين .

---

(١) لسان العرب : «ختم» وانظر معجم مقاييس اللّغة «ختم» ٢/ ٢٤٥

(٢) لسان العرب : «ختم»

ونستطيع أن نفهم أنّ لفظة الخاتم كانت تدلّ كذلك على الحلقة التى توضع فى الإصبع بقصد الزّينة منذ العصر الجاهليّ . والدّليل على ذلك النّصّ الّذى جاء فى لسان العرب ومرّ بنا : « وفى الحديث أنّه نهى عن لُبْس الخاتم إلاّ لذى سلطان . أي إذا لبسه لغير حاجة وكان للزّينة المحضة » .

ونستطيع أن نفهم كذلك أنّ العلم حينما انتشر فى ظلّ الإسلام وكثر المتعلّمون الّذين يعتمدون توقيعاتهم بدلاً من الخَتْم أو المُهْر أخذت لفظة الخاتم تتخفّف تباعاً من إفادة عمليّة الختم ، إلى الدّلالة على الحلقة الّتى توضع فى الإصبع بغرض الزّينة . وليس ببعيد عن أذهاننا ما استحدث فى الإسلام من دواوين ، ومنها ديوانُ التّوقيع ، الّذى يراجع فيه رئيسُهُ حسابَ الولاة ، وديوانُ الخاتم ، الّذى أنشأه معاوية وظلّ باقياً إلى منتصف العصر العبّاسى[1] وكان أكبر دواوين الدّولة . ويقوم موظّفوه بنسخ أوامر الخليفة وإيداعها هذا الدّيوان بعد أن تُحْزَم بخيط وتختم بالشّمع ثمّ تختم بخاتم صاحب هذا الدّيوان ، كما هو الحال اليوم فى قلم «الأرشيف» أو السّجلاّت[2] والمحفوظات

وإذا كانت لفظة الخاتم حتّى وقت نزول القرآن الكريم تدلّ على عمليّة الختم أساساً بهذه الوسيلة ، وكانت لفظة الخاتم يصحّ أن تدلّ على هذه الحلية الّتى توضع فى إصبع اليد ، فإنّ السّياق هو الّذى يدلّ على المعنى المقصود .

وبشأن لفظة «خاتم» فى قول الحقّ جلّ وعلا من سورة الأحزاب : ﴿ ما كان محمّدٌ أبا أحد من رجالكم ولكن رسول اللّه وخاتم النّبيّين . وكان اللّه بكلّ شيء عليما ﴾ أجمع علماء التّفسير واللّغة خلال العصور على أنّ معنى

---

(١) انظر الموسوعة العربيّة الميسّرة . مصوّرة عن طبعة ١٩٦٥م «ديوان» ٨٤٠

(٢) تاريخ الإسلام . د . حسن إبراهيم حسن ١/ ٤٤٧ مكتبة النهضة المصريّة . هذا الجزء بدون تاريخ

الخاتم ، الآخِر ، وبذلك يكون معنى القول : ﴿ وخاتم النّبيّين ﴾ وآخِر النّبيّين .

ومن البيّن أنّ الآية الكريمة تنصّ على أنّ محمّداً صلّى اللّه عليه وسلّم رسول اللّه ، وأنّه خاتم النّبيّين . والمعروف أنّ نعمة الرّسالة ونعمة النّبوّة هما كبرى نعم اللّه تعالى على أيّ عبد من عباده عزّ وجلّ . والمعروف كذلك أنّ الرّسول والنّبيّ يشتركان فى إيحاء اللّه تعالى إليهما وكلام الملائكة لهما . ويزيد الرّسول بكونه مبلّغاً رسالة ربّه عزّ وجلّ إلى الأمّة . وبهذا تتقدّم نعمة الرّسالة نعمة النّبوّة ، وبهذا تكون النّبوّة الطّريق الوحيد الموصل إلى الرّسالة ، فكلّ رسولٍ نبيّ وليس كلّ نبيٍّ رسولاً .

والآية الكريمة حينما تقول : ﴿ ولكن رسول اللّه ﴾ تثبت لمحمّد صلّى اللّه عليه وسلّم نعمة الرّسالة ، ومن باب أولى نعمة النّبوّة . وحينما تقول : ﴿ وخاتم النّبيّين ﴾ تثبت لمحمّد صلّى اللّه عليه وسلّم نعمة ختم النّبوّة . والنّبوّة حينما تُخْتم بمحمّد صلّى اللّه عليه وسلّم ففى ذلك ختمٌ للرّسالة بطريق الأحرى والأوْلى ، لأنّ النّبوّة ، وهي الطّريق الوحيد المؤدى إلى الرّسالة ، قد ختمت .

وهكذا يتبيّن أنّ القول : ﴿ ولكن رسول اللّه وخاتم النّبيّين ﴾ يثبت ، فى الحقيقة ، نعمتي الرّسالة وختم النّبوّة ، لمحمّد بن عبداللّه صلّى اللّه عليه وسلّم ، وهذه الحقيقة مُجْمَعٌ عليها من علماء التّفسير وعلماء اللّغة خلال العصور .

الختم والطّبع

جاء فى القرآن الكريم آياتٌ كريماتٌ تشير إلى عمليّتي الختم والطّبع على القلوب ، والسّمع ، والأبصار . ومن هذه الآيات الكريمات

قــول الحقّ جلّ وعـلا[1]: ﴿ خـتم اللّـــه على قلوبهم وعلى سمعـهم وعلى أبصارهم غشاوةٌ ولهم عذابٌ عظيم﴾ وقول الحقّ جلّ وعلا :[2]﴿ قل أرأيتم إن أخذ اللّه سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم مَنْ إلهٌ غيرُ اللّـــه يأتيكم به . انظر كيف نصرّف الآيات ثمّ هم يصدفون ﴾ وقول الحقّ جلّ وعلا[3]: ﴿ أفرأيت من اتّخذ إلهه هواه وأضلّـه اللّه على علم وختم على سمعه وقلبه وجعـل على بصره غشاوةً فمن يهديه من بعد اللّه أفلا تذكّـرون ﴾ وقـول الحـقّ جـلّ وعـلا[4]﴿ فبما نقضهم ميثاقهم وكفـرهم بآيات اللّـــه وقتلهم الأنبياء بغير حقٍّ وقولهـــم قلوبنا غلف . بل طبع اللّه عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلاّ قليـــلاً﴾ وقـــول الحقّ جلّ وعـلا :[5]﴿ رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطُبِع على قلوبهـــم فـهم لا يفـقـهـون ﴾ وقـــول الحقّ جـــلّ وعـلا :[6]﴿ إنّمـــا السّبيـــل على الّذيـــن يستأذنونـك وهـــم أغنياء . رضوا بأن يكـونـوا مع الخوالـف وطَبَـعَ اللّـــه على قلـوبهم فهـم لا يعلمـون ﴾ وقول الحـقّ جلّ وعـلا :[7]﴿ أولئـك الّـذين طبع اللّه علـى قلوبهم وسمعهـم وأبصارهـم وأولئـك هم الغـافلـون﴾ وقـــول الحقّ جلّ وعـــلا :[8]﴿ ومنـهـــم من يستمـــع إليك حتّـــى إذا خـرجوا من عنـــدك قالـوا للّـذيـن أوتـوا العـــلم مـــاذا قال آنفـــاً . أولئـك الّذيـــن طبـع الـلّـــه علـى قلوبهـــم

---

(١) سورة البقرة ٧

(٢) سورة الأنعام ٤٦

(٣) سورة الجاثية ٢٣

(٤) سورة النّساء ١٥٥

(٥) سورة التّوبة ٨٧

(٦) سورة التّوبة ٩٣

(٧) سورة النّحل ١٠٨

(٨) سورة محمّد صلّى اللّه عليه وسلّم ١٦

واتّبعوا أهواءهم ﴾ . وقول الحقّ جلّ وعلا[1]: ﴿ أَوَلم يهد للّذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم . ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون . تلك القرى نقصّ عليك من أنبائها . ولقد جاءتهم رسلهم بالبيّنات فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا من قبل . كذلك يطبع اللّه على قلوب الكافرين ﴾ وقول الحقّ جلّ وعلا[2]: ﴿ ثمّ بعثنا من بعده رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبيّنات فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل . كذلك نطبع على قلوب المعتدين ﴾ وقول الحقّ جلّ وعلا[3]: ﴿ كذلك يطبع اللّه على قلوب الّذين لا يعلمون ﴾ وقول الحقّ جلّ وعلا[4]: ﴿الّذين يجادلون فى آيات اللّه بغير سلطان أتاهم كبر مقتاً عند اللّه وعند الّذين آمنوا . كذلك يطبع اللّه على كلّ قلب متكبّر جبّار ﴾ وقول الحقّ جلّ وعلا[5]: ﴿ ذلك بأنّهم آمنوا ثمّ كفروا فَطُبِعَ على قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾ .

فما معنى الختم والطّبع ؟ جاء فى لسان العرب[6]: « قال أبو إسحاق : معنى خَتَم وطَبَعَ فى اللّغة واحد ، وهو التّغطية على الشّىء والاستيثاق من ألاّ يدخله شىء » .

وإذا كانت عمليّة الختم تتمّ بقصد الاستيثاق من عدم دخول شىء فى المختوم عليه ، وعدم خروج شىء منه ، فكيف أفادت عمليّة الطّبع المعنى ذاتَه ، علماً بأنّ جملة ختم تتعلّق بالخاتمة أو النّهاية ، فى حين تتعلّق جملة طبع بالبداية

---

(١) سورة الأعراف ١٠٠ و ١٠١

(٢) سورة يونس ٧٤

(٣) سورة الرّوم ٥٩

(٤) سورة غافر ٣٥

(٥) سورة المنافقون ٣

(٦) «ختم» وانظر مادة «طبع» فثمّة : « والاستيثاق من أن يدخله »

كما يفهم من مثل هذا النّص من لسان العرب[1]: « والطّبع : ابتداء صنعة الشّيء تقول : طبعت اللّبن طبعاً وطَبَعَ الدّرهم والسّيف وغيرهما يطبعه طبعاً : صاغه . . . . وطبعَت من الطّين جرّة : عملت . والطّبّاع : الّذى يعملها ».

إنّ الشّيء الّذى نودّ أن نقرّره ابتداءً هو أنّ القول : طبعت من الطّين جرّةً ومن الفضّة درهماً ومن الحديد سيفاً ، وما إلى ذلك ، إنّما هي أقوالٌ يعبّر بها عن أفعال محسوسة سابقة . واللّطيف فى الأمر أنّ عمليّتي الختم والطّبع إذا كان معناهما واحداً فىّ رأي العلماء فإنّ العمليّتين تتعلّق إحداهما ، وهي عمليّة الختم بالخاتمة والنّهاية ، وتتعلّق أخراهما ، وهي عمليّة الطّبع بالبداية . ثمّ حصل بعد ذلك تحوّلٌ فى عمليّة الطّبع من البداية إلى النّهاية أو الخاتمة ، ومن هنا أفادت عمليتا الختم والطّبع معنىً واحداً أخيرا .

وإنّ هذا القول الموجز بحاجة إلى توضيح ، وذلك عن طريق تتبّع السّير لرحلة اللفظتين ، مرحلةً مرحلة . ونقطة البدء تقتضينا الوقوف عند المعنى الحسّيّ لعمليّتي الختم والطبع .

المرحلة الحسّيّة لعمليّتي الختم والطّبع

كي تتّضح المرحلة الحسّيّة لكلٍّ من عمليّة الختم وعمليّة الطّبع نحن بحاجة إلى معرفة الكيفيّة الّتي يتمّ بها استعمال كلٍّ من الخاتم الّذى يختم به ، والطّابَع الّذى يطبع به ، وما ترتّب على ذلك من استعمالات لغويّة .

بشأن عمليّة الختم يكون الخاتَم هو المتحرّك .
وبشأن عمليّة الطّبع يكون الطّابَع هو الثّابت . وفى مرحلة تالية تحرّك الطابع كالخاتم .

---

(١) «طبع»

وتفسير ذلك أنّ من أراد أن يختم على شيء مّا ، هو يأتى بالطّينة مثلاً أو الشّمع أو القطعة من الرّصاص وما إلى ذلك فيضّعها فى الموضع الّذى يراد أن يكون الختم عنده ، ثمّ هو يأتى بالخاتم أو الختام المكتوب فيه أو المنقوش عليه ، فيختم به تلك المادّة القابلة لأن يختم عليها من طينة أو شمعٍ أو رَصاص ، وما إلى ذلك ، وبذلك يدخل الخاتم فى المادّة .

أمّا من أراد أن يطبع على شيء مّا ، فإنّه يأتي بالطّينة مثلاً أو الشّمع أو القطعة من الرّصاص وما إلى ذلك فَيضعها فى الموضع الّذى يراد أن يكون الطّبع عنده ، ثمّ هو يأتى بالطّابع المكتوب فيه أو المنقوش عليه ، فيطبع به المادّة ، تلك المادّة القابلة لأن يطبع عليها ، وبذلك تدخل المادّة هذه المرّة فى الطّابع . ودليلاً على هذه العمليّة وعلى هذه المرحلة جاء فى لسان العرب[1] القول : « والطّبع : الختم وهو التّأثير فى الطّين ونحوه . . . . وطبع الشّيء وعليه يطبع طبعاً ختم . والطّابَع والطّابِع بالفتح والكسر : الخاتم الّذى يختم به » وجاء القول[2] : « الطّبع أن تصورِّ الشّيء بصورة ما كطبع السّكّة ، وطبع الدّراهم . . . . والطّابع والخاتم ما يطبع به ويختمَ » والسّكّة والطّابع واحد . والسّكّة : حديدةٌ قد كُتب عليها يضرب عليها الدّراهم وهي المنقوشة . وفى الحديث عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم أنّه نهى عن كسر سكّة المسلمين الجائزة بينهم إلاّ من بأس . أراد بالسّكّة الدّينار والدّرهم المضروبين . سمّي كلّ واحد منهما سكّة لأنّه طبع بالحديدة المعلّمة له[3] قال ابن الأعرابى : الطّبع المثال يقالً : اضربه على طبع هذا وعلى غِراره وصيغته وهَدْيَتــه أي على قدره .[4]

---

(١) «طبع»

(٢) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «طبع» ٣٠١

(٣) لسان العرب : «سكك»

(٤) لسان العرب «طبع»

ومن البيّن أنّ ثمّة قليلاً من الاختلاف بين ممارسة طبع الدّرهم والطّبع على الكتاب مثلاً ، مع أنّ عناصر الطّبع فى المرّتين واحدة . إنّ من أراد أن يطبع درهماً أو ديناراً جعل الطّابع بمثابة القاعدة الثّابتة ثمّ دقّ على قطعة الفضّة أو الذّهب حتّى تصير درهماً أو ديناراً . أمّا من أراد أن يطبع على الشّمع أو الرّصاص فإنّ استعمال الطّابع فى هذه الحال يكون كاستعمال الخَتَم أو الخاتم . إنّ الطّابع والخاتم هما المتحرّكان . وفرق بين الطّابع والخاتم أن الطّابع يدخل فيه الشّمع أو الرّصاص ، أمّا الخاتم فإنّه هو الّذى يدخل فى الشّمع أو الرّصاص .

المرحلة المعنويّة لعمليّتي الختم والطّبع .

لمّا كانت عمليّة الختم فى المحسوسات تتعامل مع الطّين والشّمع والرّصاص وما إلى ذلك ممّا يختم عليه كيلا يخرج شيءٌ منه ولا يدخل شيءٌ فيه فإنّ ثمّة مرحلةً معنويّةً أفادتها عمليّة الختم فى مرحلة تالية . وهذه المرحلة المعنويّة تدلّ على ذات المعنى فى المحسوسات وتؤدى الغرض ذاته . إنّ عمليّة الختم فى المعنويّات يراد بها التّنبيه إلى أنّ المختوم عليه لا يخرج شيءٌ منه ولا يدخل شيءٌ فيه . جاء فى لسان العرب مثلاً القول[1] « والختم على القلب : ألاّ يفهم شيئاً ولا يخرج منه شيءٌ كأنّه طبع . وفى التّنزيل العزيز : ﴿ ختم اللّه على قلوبهم ﴾ هو كقوله : طبع اللّه على قلوبهم فلا تعقل ولا تعى شيئاً » وجاء فى المفردات[2] : « فقوله : ﴿ ختم اللّه على قلوبهم ﴾ وقوله : ﴿ قل أرأيتم إن أخذ اللّه سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم ﴾ إشارةٌ إلى ما أجرى اللّه به العادة أنّ الإنسان إذا تناهى فى اعتقاد باطل أوارتكاب محظور

---

(١) «ختم» وانظر مفردات الرّاغب الأصفهانى : «ختم» ١٤٣

(٢) المفردات فى غريب القرآن للرّاغب الأصفهانى : «ختم» ١٤٣

ولا يكون منه تلفّتٌ بوجه إلى الحقّ يورثه ذلك هيئةً تمرّنه على استحسان المعاصى ، وكأنّما يختم بذلك على قلبه . وعلى ذلك : ﴿ أولئك الّذين طبع اللّه على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ﴾ وعلى هذا النّحو استعارة الإغفال فى قوله عزّ وجل[1] : ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ﴾ واستعارة الكنّ فى قوله تعالى[2] : ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنّةً أن يفقهوه ﴾ واستعارة القساوة فى قوله تعالى[3] : ﴿ وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾

وهكذا تحوّلت عمليّة الختم من المرحلة الحسّيّة إلى المرحلة المعنويّة

وإنّ شيئاً كهذا يقال عن عمليّة الطّبع .

إنّ عمليّة الطّبع إذا كانت فى المرحلة الحسّيّة تتعامل مع المحسوسات ، كالفضّة الّتى يضرب عليها فى السّكّة أو الطّابع فتكون درهماً ، وكالذّهب الّذى يُضْرَب عليه فى السّكّة أو الطّابع فيكون ديناراً ، بمعنى أن يطبع على الدّرهم والدّينار ما فى السّكّة أو الطّابع من كتابة أو نقش[4] وكالحديد الّذى يطبع سيفاً[5] وذلك إذا ضربه حتّى يكمّله[6] إنّ عمليّة الطّبع إذا كانت فى المرحلة الحسّيّة تتعامل مع المحسوسات فإنّ المرحلة المعنويّة ليست بعيدةً من هذا التّصوّر . جاء فى لسان العرب[7] : « والطّبع والطّبيعة : الخليقة والسّجيّة الّتى جُبِل

---

(١) سورة الكهف ٢٨

(٢) سورة الأنعام ٢٥

(٣) سورة المائدة ١٣

(٤) انظر معجم مقاييس اللّغة : «طبع» ٣/ ٤٣٨ ولسان العرب : «طبع»

(٥) انظر مثلاً لسان العرب : «طبع»

(٦) معجم مقاييس اللّغة : «طبع» ٣/ ٤٣٨

(٧) «طبع»

عليها الإنسان . . . . قال الأزهريّ : ويجمع طبع الإنسان طباعاً ، وهو ما طُبِع عليه من طباع الإنسان فى مأكله ومشربه وسهولة أخلاقه وحُزونتها وعسرها ويسرها وشدّته ورخاوته وبُخْله وسخائه . . . . وطبعه اللّه على الأمر يطبعه طبعاً فطره . وطبع اللّه الخلق على الطّبائع الّتى خلقها فأنشأهم عليها وهي خلائقهم ، يطبعهم طبعاً ، خلقهم ، وهي طبيعته الّتى طُبع عليها وطُبعَها . . . . والطِّباع : ما رُكِّب فى الإنسان من جميع الأخلاق الّتى لا يكاد يزاوَلها[1] من الخير والشّرّ » وجاء فى المفردات فى غريب القرآن للرّاغب الأصفهانى[2] : « وبه اعتُبر الطّبع والطّبيعة الّتى هي السّجيّة ، فإنّ ذلك هو نقش النّفس بصورة مّا ، إمّا من حيث الخلقةُ وإمّا من حيث العادة . وهو فيما يُنْقَش به من حيث الخلقة أغلب . ولهذا قيل[3]

« وتأبى الطِّباع على النّاقل »

---

(١) يزاولها : يعالجها . والمزاولة : المحاولة والمعالجة . لسان العرب : «زول»

(٢) طبع ٣٠١

(٣) من بيت للمتنبى جاء فى الديوان ٣/ ٢٢

يراد من القلب نسيانكم *** ويأبى الطّباع على النّاقل

موجز البحث

هذا البحث بعنوان: محمّدٌ صلّى اللّه عليه وسلّم خاتم النّبيّين ، يركّز على القول : ﴿ وخاتم النّبيّين ﴾ من الآية الكريمة الأربعين من سورة الأحزاب المدنيّة الّتى تشير إلى أحداث مرّ بها مجتمع المدينة المنوّرة بقيادة المصطفى صلّى اللّه عليه وسلّم . وكان نزول السّورة الكريمة فى حدود السّنة الخامسة من الهجرة . ومن تلك الأحداث زواج النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم بزينب بنت جحش رضي اللّه عنها ، مطلقة زيد بن حارثة الّذى كان يقال له زيد بن محمّد لأنّ النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم تبنّاه ، وغزوة الأحزاب أو الخندق ، وغزوة بنى قريظة ، وكسر شوكة النّفاق بعد التّخلّص من يهود بنى قريظة فى نهاية سنة خمسٍ من الهجرة .

وفى التّمهيد تمّ بإيجاز تبيين معنى الآية الكريمة الأربعين من سورة الأحزاب . قال تعالى : ﴿ ما كانَ محمّدٌ أبا أحد من رجالكم ولكن رسول اللّه وخاتم النّبيّين . وكان اللّه بكلّ شيء عليماً ﴾ إنّ مَحمّداً صلّى اللّه عليه وسلّم ما كان أبا أحد من رجالكم يا أيّها المؤمنون فكل أولاده صلّى اللّه عليه وسلّم الذّكور ماتوا قبل سنّ الحُلُم ، وزيد بن حارثة ليس ابن محمّد صلّى اللّه عليه وسلّم من صلبه فالأولى أن يُدْعى لأبيه حارثة ، ومن حقّ محمّد صلّى اللّه عليه وسلّم أن يتزوّج مطلّقة متبنًّى زيد بن حارثة خلافاً لعادة العرب البغيضة الّتى تحرّم ذلك الزّواج لأنّها تنزّل المتبنًّى منزلة الابن من الصّلب وهذا خطأ . إن محمّداً صلّى اللّه عليه وسلّم رسول اللّه تعالى وخاتم النّبيّين ، أي آخرهم .

ويشترك النّبيّ والرّسول فى إيحاء اللّه تعالى إليهما وتعليم الملائكة لهما ويزيد الرّسول بكونه مرسلاً من اللّه تعالى إلى قومه ومبلّغاً رسالة ربّه جلّ وعلا . وبهذا تكون النّبوّة الطّريق الوحيد المؤدى إلى الرّسالة . وفي ختم النّبوّة بمحمّد صلّى اللّه عليه وسلّم ختمٌ للرّسالة لأنّ الطّريق إليها موصدٌ بختم النّبوّة وكان اللّه تعالى عليماً بكلّ شيء .

وفى التّمهيد تمّ كذلك تبيين الغاية من البحث وهي الرّدّ على الفئة القاديانيّة الضّالّة عن سواء السّبيل الّتى لوت عنق الآية الكريمة وخالفت ما أجمع عليه علماء اللّغة العربيّة والتّفسير فزعمت أنّ النّبوّة لم تختم بمحمّد صلّى اللّه عليه وسلّم . لقد أجمع علماء اللّغة العربيّة والتّفسير على أنّ معنى القول : ﴿ وخاتم النّبيّين ﴾ وآخر النّبيّين . أمّا تلك الفئة فنظرت إلى معنىً أفاده لفظ الخاتم فى فترة متأخّرة فذهبَت إلى أنّه هو المقصود فى الآية الكريمة ، وبذلك خالفت تلك الفئةَ جميع علماء التّفسير واللّغة العربيّة ، وأهملت السّياق فى الآية الكريمة ، وأخضعت التّفسير لهواها ، وأنكرت ما أجمع عليه علماء التفسير واللّغة من أنّ لفظة الخاتم تعنى الآخر لأنّ الخاتم والختام يختم بهما فى ختام كلّ شيءٍ ونهايته ، وذهبت إلى أنّ الخاتَم يفيد الحلي والزّينة .

لقد اقتضى دحض هذه الفرية الدّراسة التّأريخيّة لمادّة : «ختم» وكذلك للمادّة الأخرى صنوها : «طبع» من زاوية تطوّر الدّلالة . وقد سارت الدّراسة وفق الخطوات التّالية .

معنى الأصل اللّغويّ : «ختم»

لقد تبيّن أنّ الأصل اللّغويّ : «ختم» يدور حول معنىً واحد هو بلوغ آخر الشّيء . وإنّ كلّ الألفاظ المشتقّة من هذا الأصل اللّغويّ تفيد الخاتمة والعاقبة والنّهاية . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ختامه مسك ﴾ أي آخره لأنّ آخر ما يجدونه رائحة المسك وقوله تعالى : ﴿ وخاتم النّبيّين ﴾ أي آخرهم الّذى ختم النّبوّة أي تمّمها بمجيئه .

والخاتَم والخاتم والخَتَم والخاتام والخيتام : ما يُختَم به . ولذلك أفادت عمليّة الختم معنيين إضَافيّين معمّقين لمعنى الخاتمة والنّهاية وهما الحفظ والمنع . إنّ من أراد أن يستوثق من عدم نقص شيءٍ من وثيقةٍ مثلاً وعدم زيادة شيءٍ فيها

يختم بالخاتم فى خاتمتها ونهايتها . وبذلك يحفظ الختم ما فى الوثيقة ويمنع الزّيادة فيها . وإنّ من أراد أن يستوثق من عدم نقص شيء أو زيادة شيء فى ظرف خطاب أو حرز يأتى بالطّين أو الشّمع أو الرَّصاص ويسمّى كلٌّ ذلك الختام ، ويضع الختامَ فى الموضع المراد ختمه ، وتتمّ عمليّة الختم بالخاتم أو الخَتَم .

ولمّا كانت الوسيلة الّتى يتمّ الختم بها ينبغى أن تكون فى مكان آمن وقريبةً من المستعمل لها للحاجة الدّائمة لها وضعت فى إصبع اليد . وهكذا كان الخاتم فى إصبع اليد للختم به . ولمّا كان من بين العرب الأمّيّين من يقرأ ويكتب فليس بحاجة إلى عمليّة الختم ، ومن كان ليس محتاجاً أصلاً لعمليّة الختم هذه فإنّ هؤلاء ومن مشاكلهم حينما يلبسون الخاتم إنّما يتّخذونه حلياً وزينة . وهكذا أفادت لفظة الخاتم وأخواتها معنى الحلي والزّينة فى مرحلة زمنيّة متأخّرة وفى الوقت ذاته ظلّت لفظة الخاتم تفيد معناها الأصليّ . وليس ببعيد عن أذهاننا ديوان الخاتَم الّذى أنشأه معاوية رضي اللّه تعالى عنه ، وكان أكبر دواوين الدّولة ، وظلّ باقياً إلى منتصف العصر العبّاسيّ ، وكانت الوثائق تحزم بخيطٍ وتختم بالشّمع ثمّ تختم بخاتم صاحب هذا الدّيوان وتُحْفَظ .

ولمّا كانت عمليّة الختم بالمعنى الّذى عرفنا لها أختٌ تفيد المعنى ذاته وهي عمليّة الطّبع فى المحسوسات ، ولمّا كانت هاتان العمليّتان قد حدث فى كلتيهما تطوُّر فى الدّلالة من المحسوسات إلى المعنويّات فقد كان منّا محاولة لتبيين عمليّة الختم وعمليّة الطّبع . إنّ عمليّة الختم تعنى دخول الخاتم فى الطّين والشّمع والرَّصاص وما إلى ذلك . وإنّ عمليّة الطبع تعنى دخول الطّين والشّمع والرَّصاص وما إلى ذلك فى الطّابع أو السّكّة ، وهما عبارةٌ عن الحديدة المكتوب عليها أو المنقوشة . وهكذا تدخل الفضّة فى الطّابع أو السّكّة فتكون

درهما ، ويدخل الذّهب فيكون ديناراً ، والحديد فيكون سيفاً وما إلى ذلك .

وإنّ عمليّتي الختم والطّبع في المحسوسات انتقلت إلى المعنويّات ، وجاء في القرآن الكريم آياتٌ كريماتٌ تشير إلى عمليّتي الختم والطّبع المعنويّتين على القلوب والسّمع والأبصار . إنّ عمليّتي الختم والطّبع في المعنويّات يراد بهما الحفظ والمنع كاللّذين في المحسوسات . إنّ الحقّ جلّ وعلا حينما يختم على قلوب الكافرين -مثلاً- أو يطبع ، يراد من ذلك التّنبيه إلى أنّ ما في قلوب الكافرين من كفرٍ لا يخرج ، وما هو خارج القلوب من نور الهداية لا يدخل .

ومن هذا القبيل استعارة الإغفال في القرآن الكريم والكِنّ والقساوة .

إنّ كلّ ذلك يفيد «الختم» فلا شيء في الدّاخل يخرج ، ولا شيء في الخارج يدخل .

وهكذا يتبيّن أنّ الأصل اللّغويّ : «ختم» يدلّ على بلوغ آخر الشّيء ، وأنّ كل الألفاظ المشتقّة من هذا الأصل اللّغويّ تتعلّق بالخاتمة ، وفي مقدّمة تلك الألفاظ لفظة : «خاتم» وهكذا يتأكّد المعنى الّذي ذهب إليه المفسّرون واللّغويّون إلى يوم النّاس هذا بشأن قول الحقّ جلّ وعلا عن محمّد صلّى اللّه عليه وسلّم في سورة الأحزاب : ﴿ وخاتم النّبيّين ﴾ إنّ محمّداً صلّى اللّه عليه وسلّم آخر النّبيّين عليهم جميعا صلوات ربّ العالمين وسلامه .

الخاتمـــــة

فى الصّفحات السّابقة بيّنّا معنى الآية الكريمة الأربعين من سورة الأحزاب المدنيّة الكريمة ، وهي تنصّ على أنّ محمّداً صلّى اللّه عليه وسلّم خاتم النّبيّين ، وبذلك هو صلّى اللّه عليه وسلّم آخر المرسلين من باب الأحْرى ، لأنّ النّبوّة ، الطّريق الوحيد المؤدّى إلى الرّسالة ، قد ختمت به صلّى اللّه عليه وسلّم . ورداً على الفئة القاديانيّة الضّالّة الّتى انحرفت على سواء السّبيل والّتى ذهبت إلى أنّ محمّداً صلّى اللّه عليه وسلّم ليس خاتم النّبيّين ذكرنا معنى الآية الكريمة كما بيّنه السّلف الصّالح . وممّا بيّنه السّلف أنّ معنى : ﴿ وخاتم النّبيّين ﴾ وآخر النّبيّين . ودرسنا مادّة : «ختم» من زاوية تطوّر الدّلالة . لقد تبيّن أنّ هذا الأصل اللّغويّ يدلّ على بلوغ آخر الشيء ، وأنّ كلّ الألفاظ المشتقّة تتعلّق بالخاتمة وتدلّ عليها . كما تبيّن أنّ لفظة الختم تدلّ كذلك على حفظ ما فى الشّيء ومنع دخول شيء من الخارج فيه . وإنّ هذه العمليّة تتم باستعمال الخاتم للختم على المادّة الّتى يختم بها كالطّين والشّمع . وبسبب كثرة استعمال الخاتم لعمليّة الختم وضع فى إصبع اليد . وقد شاركت عمليّةُ الطّبع فى هذه المهمّة عمليّة الختم . وقد تطوّرت عمليتا الختم والطبع وتحوّلتا من مرحلة المحسوسات إلى مرحلة المعنويّات . وقد جاء فى القرآن الكريم الإشارة إلى عمليّتي الختم والطّبع المعنويّتين . وقد تبيّن من تطوّر دلالة الألفاظ المشتقّة من الأصل : «ختم» محور الدّراسة أنّ كلّ الألفاظ المشتقّة تدلّ على المعنى الّذى يفيده الأصل اللّغويّ ، وهو الدّلالة على آخر الشّيء وخاتمته . وبذلك يتأكّد ما قرّره علماء السّلف بأنّ معنى القول : ﴿ وخاتم النّبيّين ﴾ وآخر النّبيّين .

واللّه تعالى أسأل أن ينفع بهذا العمل ، وأن يكون عوناً لمن ضلّ عن سواء السّبيل فذهب إلى أنّ النّبوّة لم تختم بمحمّد صلّى اللّه عليه وسلّم ، على أن يعود إلى سواء السّبيل ، وأعنى القاديانيّين فى المقام الأوّل ، ومن شطّ عن

سواء السّبيل من أمثالهم .

وصلّى اللّه وسلّم على سيّدنا محمّد خاتم النّبيّين وأشرف المرسلين ، صلوات اللّه تعالى وسلامه عليهم أجمعين ، وعلى آله وصحبه آمين ، والحمد للّه ربّ العالمين .

فهرست المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا) مقاييس اللّغة . تحقيق وضبط عبد السّلام محمّد هارون . الطّبعة الثّانية ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م حلب . مصر .

ابن القيّم (أبو عبداللّه محمّد بن أبى بكر) طريق الهجرتين وباب السّعادتين . دار الكتاب العربى . بيروت . بدون تاريخ .

ابن كثير (عماد الدّين أبو الفدا إسماعيل بن كثير) تفسير القرآن العظيم . دار إحياء التّراث العربى بيروت ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م

ابن منظور (جمال الدّين محمّد بن مكرم) لسان العرب ، بيروت ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م .

ابن هشام (أبو محمّد عبدالملك) السّيرة النّبويّة . تحقيق مصطفى السّقّا ، إبراهيم الأبيارى ، عبدالحفيظ شلبى . دار إحياء التّراث العربى . بيروت . لبنان ١٩٨٥م .

باجودة (حسن محمّد) تأمّلات فى سورة الأحزاب . مطابع . الصّفا . مكّة المكرّمة ١٤٠٣هـ .

حسن (حسن إبراهيم) تاريخ الإسلام . مكتبة النّهضة المصريّة الجزء الأوّل بدون تاريخ .

الخضرى (محمّد) نور اليقين فى سيرة سيّد المرسلين . الطّبعة الثّانية . دار المعارف للطّباعة . بدون تاريخ .

الرّاغب الأصفهانى (أبو القاسم الحسين بن محمّد) المفردات فى غريب القرآن . تحقيق محمّد السيّد الكيلانى دار المعرفة . بيروت . لبنان . بدون تاريخ .

السّيوطى (جلال الدّين عبدالرّحمن) الإتقان فى علوم القرآن . تحقيق : محمّد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة ١٩٧٤م

العكبرى (أبو البقاء عبداللّه بن الحسين) التّبيان بشرح ديوان أبى الطّيّب المتنبّى . ضبطه وصحّحه ووضع فهارسه مصطفى السّقّا ، إبراهيم الأبيارى ، عبد الحفيظ شلبى . الطّبعة الثّانية ١٣٧٦هـ ١٩٥٦م حلبى . مصر .

القرطبى (أبو عبداللّه محمّد بن أحمد الأنصارى) الجامع لأحكام القرآن . دار الشّعب . القاهرة . بدون تاريخ .

الموسوعة العربيّة الميسّرة . الطّبعة الثانية ١٩٩٧٢ م طبعة الشّعب .

فهرست الموضوعات

الموضـــــــوع	الصفحـة
المقدمة	٥
تمهيد	٧
معنى الأصل اللغويّ : « ختم »	١٠
ألفاظ مشتقة	١١
الختم والطبع	١٥
المرحلة الحسية لعمليتي الختم والطبع	١٨
المرحلة المعنوية لعمليتي الختم والطبع	٢٠
موجز البحث	٢٣
الخاتمة	٢٧
فهرست المصادر والمراجع	٢٩

مطابع جامعة أم القرى